«غزة – أريحا أولاً»: خدعةٌ وخطيئة

أحمد اليماني *

خدعةٌ كُبرى حاكتها الإدارة الأميركية، والصهيونية العالمية، وباركها نفرٌ من الحكّام العرب، ويُروِّجها فريقٌ من قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ارتكبوا خطيئةً لن يغفرها لهم الشعبُ العربيُ وفي طليعتهم الجماهير الفلسطينية.

لقد شكّل هذا الاتفاقُ (الخدعةُ –الخطيئةُ) اختراقاً نوعياً لصالح معسكر الأعداء الإمبريالي–الصهيوني–الرجعي في عملية الصراع العربي–الصهيوني. وشكّل حالةً من الانهيار المذلّ أمام الشروط الأميركية–الصهيونية، كنتيجةٍ طبيعية للخيار التصفوي الانهزامي الذي انخرط في مساراته ذلك البعضُ من القياداتِ الفلسطينية وقبلوا المشاركة في مؤتمر مدريد، الذي عُقِد على خلفية التغييرات الاستراتيجية على الصُعد العالمية والاقليمية والعربية. فالموافقة على التفاوض مع العدو الصهيوني يعني الاعتراف بشرعية وجوده في المنطقة العربية، وشرعية اغتصابه لوطننا، والاستعداد لمصالحته والتعايش معه وفق شروطه وحسب إرادته وتحت حمايته.

إنّ مجرّد المشاركة في عملية التفاوض أفْقدتْ ياسر عرفات وفريقَهُ المفاوضَ شرعيّةَ التمثيل الوطني، الأمر الذي يستوجب العمل الجادّ لاسقاطه ومن معهُ، وإيجاد القيادة الوطنية الموثوقة، والمؤتمَنة، التي تقود حركة الجماهير لإفشال المشروع التصفوي، ومواصلة النضال بكلّ أشكاله لتحرير كل فلسطين، وإعادتها كُلّها، لكُلّ أهلها، مهما طال الزمن؛ فحياة الشعوب لا تُقاسُ بعدد السنوات.

إنّ اتفاق ١٣ أيلول (الخدعة –الخطيئة)، الذي جرى التوقيع عليهِ في واشنطن، برعاية الإدارة الأميركية الحليف الاستراتيجي للعدو الصهيوني، يحملُ أخطاء لا حصر لها، من أبرزها.

١– الاعتراف بشرعية الكيان الصهيوني، وشرعية اغتصابِه لوطننا.

٢– التخلّي عن الميثاق الوطني الفلسطيني، الذي يؤكد عروبةَ فلسطين بحدودها التي كانت قائمة قبل عام ١٩٤٧، كجزءٍ من الوطن العربي الكبير.

٣– إرساء المقدِّمات السياسية لتصفية منظمة التحرير الفلسطينية، كياناً وهويّةً وطنيةً تحرُّرية.

٤– تمزيق وحدة الأرض والشعب، وعزل قضية فلسطين عن قضايا الأمّة العربية، وتسهيل الطرق أمام الاتفاقات المنفردة مع العدو الصهيوني.

٥– إنهاء الانتفاضة الشعبية المجيدة في فلسطين، وهي الانتفاضة التي تشكل محطّة بارزة من محطّات الكفاح الشعبي الفلسطيني، عجز العدوُّ الصهيوني رغم كلّ ما يملكه من أسلحة الدمار الأميركية، وكل ما يمارسه من وسائل القمع والإرهاب، عن وقف مدّها المتصاعد.

٦– ضرب المقاومة الوطنية والإسلامية، والتصدي لها لمنعها من متابعة مقاتلة العدو الصهيوني.

٧– استبدال أداة القمع الصهيونية بالشرطة الفلسطينية أداةَ قمعٍ بديلةً تُدربها وتُسلّحها الدوائرُ المعاديةُ البريطانيةُ–الأميركيةُ–الصهيونيةُ وغيرها.

٨– شطب حق عودة ثلثي الشعب الفلسطيني المشرّدين منذ عام ١٩٤٨، وفتح باب التوطين لهم في الشتات.

٩– إعطاء الكيان الصهيوني كُلّ ما يشاء، بدون قيد أو شرط، واستمراره في عملية جلب الغُزاة الصهاينة، وبناء المستوطنات لاستيعابهم، وتطوير المستوطنات القائمة، وضمان أمن المستوطنين.

١٠– ويُشكّل الاتفاق مدخلاً واسعاً لتمرير المشروع الإمبريالي– الصهيوني في الوطن العربي وتنفيذه، بكلّ ما يعنيه هذا المشروع من إعادة ترتيب الأوضاع سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً، لصالح الأطماع الصهيونية–الأميركية في المنطقة.

وبالتالي فإنّ هذا الاتفاق(الخدعة – الخطيئة)، بكلّ ما يحمله من مخاطر، ليس سوى تصفية مباشرة لمرتكزات المشروع الوطني الفلسطيني وعناصرِه، لصالح المشروع الصهيوني.. والملاحق

---

* مناضل وقيادي فلسطيني بارز. أسهم في تأسيس المنظمة العسكرية لتحرير فلسطين(١٩٤٩) والاتحاد العام لعمال فلسطين، وحركة القوميين العرب، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

السرّية الخاصة بالاتفاق (وهي التي لم تعد سريّة بعد توقيعه) تؤكد مدى خطورة الخطيئة التي أقدم عليها ياسر عرفات وفريقه المفاوض.*

* * *

هذا العرضُ الموجَز لمخاطر الاتفاق، وعدم شرعيّته، يؤكد سقوطَ الصفة التمثيلية الوطنية عن الّذين شاركوا بالمفاوضات العلنية والسرّية التي نتج عنها هذا الاتفاق المذلّ... ويؤكّد كذلك ضرورة العمل لإسقاطهم من مواقعهم القيادية، التي ستحوّلهم إلى قوّة حراسة للعدو الصهيوني المحتل، يخدمون مصالحه، وينفذون مشيئته تحت حماية جنوده.

إنّ صراعنا مع العدو الصهيوني صراع وجود، وليس صراعاً على الحدود. وإنّنا مؤمنون بقدرة جماهير شعبنا على الاحتمال، وواثقون بحتمية الانتصار؛ وحركة التاريخ لا يُمكن أن تسير إلا إلى الأمام.

لا يغيب عن البال ما تُعانيه جماهيرنا في فلسطين، وما تتعرّض له من قمعٍ وبطشٍ وحصارٍ اقتصادي... ولا تغيبُ عن أسماعنا الأصوات التي تردّد مقولات: «خُذْ وطالِبْ»، و«لا خيارَ لنا في ظل الواقع الدّولي والعربي إلا المساومة»، «واقبلوا ما يُعطى لنا»، و«يا وحدنا»، و«لقد تخلّى عنّا الأصدقاء ويُسيءُ معاملتَنا الأشقّاء»... إلى ما هنالك من مقولات التخويف بالذبح العسكري والعزل السياسي. ويبقى التساؤل عن البديل؟

صحيح أنّه ليست هناك بدائل جاهزة، لكنَّ هناك عوامل هامّة تُشكّل بمجموعها ما ينتج عنها البديل. وفي مقدمة هذه العوامل:

١- التمسُّك بالموقف المبدئي، وعدم التنازل أو التفريط بأيّ حقٍ من حقوقنا الوطنية والقومية التاريخية غير القابلة للتصرّف.

٢- تجاوز جدار الرعب من التخويف بأسوأ الاحتمالات، كالعزلة والذبح...الخ.

٣- العمل على دعم الانتفاضة الشعبية المجيدة، لضمان استمرارها وتصاعدها وعدم السماح بإنهائها.

٤- مواصلة الكفاح بكلّ أشكاله، وفي مقدمتهاالكفاح الشعبي المسلّح، رغم الظروف الصعبة الآنية.

٥- تدعيم العلاقات السياسية مع الأحزاب والقوى والمؤسسات الوطنية والقومية العربية والإسلامية ووضعها أمام مسؤولياتها، وتوظيف إمكاناتها، من أجلِ دعم الذراع المقاوم في فلسطين ولبنان، وتوسيع آفاقه، رغم ما يحمله الوضعُ الآني من مصاعب ومتاعب وعقبات... فقضية فلسطين لم تكن يوماًقضية تهمُّ أهلها وحدهم، بل هي قضية تهمّ الأمّة العربية والشعوب المؤمنة كافةً.

وبالتالي فإنّ الفعل الذاتي، والتمسّك بالمبادئ، هماالبديل عن الانهيار والتسليم بشروط العدو المذلّة. ولئن لم يكن بالمقدور في هذه المرحلة تحقيق أهداف الأمّة وآمالها وأمانيها، فإنّه لا يجوز السكوت عن أيّة قيادة تُسهم بتعبيد الطريق أمام أعدائنا الصهاينة والإمبرياليين.. إذْ ليس من حق أيّة قيادة أن تُقيِّد الأجيال اللاحقة بقيود الذلّ والارتهان للأعداء.

إنّ وحدة شعبنا داخل فلسطين وخارجها، ووحدة قضيتنا القومية، ووحدة الروابط مع جماهير أمّتنا العربية، ستجعلنا قادرين على إفشال الاتفاق الخطيئة وكلّ ما يحمله من أخطار التوطين والوطن البديل ... وستجعلنا قادرين على مواصلةالكفاح بأشكاله كافةً، حتى تحرير كل فلسطين وإعادتها كلّها لكلّ أهلها... ولن يكون مصير هذا الاتفاق أفضل من مصير اتفاق ١٧ أيار، الذي أحبطته بشكلٍ أساسي إرادة الجماهير اللبنانية المؤمنة بحقها وعدالة قضيتها، وبالتعاون مع الفعل القومي العربي.

إنّ المثقفين والمفكرين العرب يتحملون مسؤولية كبرى في الدعوة لمناهضة الغزو الصهيوني بكلّ أشكاله السياسية والاقتصادية والثقافية، ووضع معالم مجابهة الصلح مع العدو الصهيوني ومجابهة الاعتراف بشرعية اغتصابه والتطبيع معه... وهم مدعوون اليوم قبل الغد إلى البدء الفوري بالدعوة والعمل لإقامة جبهة عريضة جادّة تشمل الأحزاب والقوى والشخصيات الوطنية والقومية والروحية، التي ترى خطورةَ التسويات مع العدو التي تؤدي الى الصلح معه، أو الاعتراف بشرعية وجوده... وهذا ما يستلزم وضع برنامج تعبوي لهذه الجبهة لتحشيد الجماهير، وتجنيدهم في عملية المواجهة، التي لن تكون سهلة... ولكنّها ستُحقِّق غاياتها... فقد أثبت التاريخ أنّ الشعب المؤمن بحقّه، وعدالة قضيته، وينظم صفوف أبنائه، ويواصل الكفاح بكل أشكاله، ويوسّع دائرة تحالفاته المبدئية، لا بدّ أنْ يُحقّق الانتصار.

فإرادتنا أنْ ننتصر، وإيماننا أنّنا سنُحرِّر فلسطين ونعيدها كلها لكلّ أهلها

---

* يجد القارئ نص هذه الملاحق التي قيل إن منظمة التحرير وقّعَتْ عليها في مجلتي الشراع (٢٠ ايلول) والنداء (١١ ايلول) (الآداب)